المحاضرة الحادية عشر

التغير ومستقبل الزواج والأسرة

أولاً : عوامل تغير الأسرة

تشتمل الكتابات السوسيولوجية على نوعيات واسعة من الاتجاهات التي تؤكد وجود محرك أول Prime Mover وحيد يكون بمقدرته تفسير الاختلافات التي تظهر بمرور الوقت في نسق الأسرة والزواج . وهذه التفسيرات ليست نظريات في الأسرة أو التغير الاجتماعي ولكنها فروض "أحادية العامل" أي أنها ترى أن التغير الأسري أو الاجتماعي يتسبب عن عامل واحد كبير . إلا أن معظم الكتابات السوسيولوجية المعاصرة ترى أن إبراز عامل واحد وتصوره "كمستقبل" لعملية التغير غير صحيح على المستوى النظري أو الأمبيريقي .

- إن الأسرة كما سبق أن قلنا لا يمكن فهمها كظاهرة منعزلة . بل لابد من النظر إليها في ضوء النظم الاقتصادية والسياسية والدينية والأوضاع السكانية في المجتمع ، الذي تكون جزءا منه ، ويتأثر ويؤثر في نفس الوقت ، فليس عن طريق الصدفة يدعم المجتمع الزراعي الثابت نسبياً شكل "الأسرة الممتدة" أو يشجع نظام "تعدد الزوجات" أو يمنح الآباء حق اختيار الزوجات (الأزواج) لأبنائهم . فكل عنصر من هذه العناصر يتلاءم مع البناء الاجتماعي الثابت مثل الاصرار على شكل الأسرة الزوجية ، والحب الرومانتيكي ، والمنزل المستقل الذي يميز المجتمعات الحضرية الدينامية .

ولا يوجد بالفعل ما يسمى "نظريات التغير الاجتماعي أو الأسرى" ولكن كل النظريات الموجودة هي نظريات ذات طابع احتمالي أو ذات صدى قصير ، وهي تبين أن تغير الأسرة أو المجتمع يعود إلى عامل أو مجموعة من العوامل كالجنس أو المناخ أو التكنولوجيا أو الاقتصاد . وهناك تصور عام بين علماء الاجتماع مؤداه أن التطور التكنولوجي أو الصناعي يشكل عاملاً مهما في تغير الأسرة ، والدليل على ذلك أن الأسرة الصناعية في انجلترا تختلف طريقة حياتها عن حياة الأسرة في العصر الحجري في استراليا . ولكن على الرغم من أن الاختراعات والاكتشافات العلمية لها أهمية كبيرة في عملية التغير إلا أنها ليست العامل الوحيد في تغير الأسرة . فكل تغير يحدث في الأسرة يكون نتيجة لعدة عوامل كما أن التغير الذي يحدث في أحد أجزاء الأسرة يؤثر في بقية أجزائها .

- فإذا تساءلنا . ما الذي يدفع الحكومة على سبيل المثال لمد يد العون للمسنين ، فإننا سوف ننتهي إلى أن هناك مجموعة من العوامل التي تكمن وراء هذا الاجراء ، من بينها أن الحياة العصرية تباعد بين الأبناء البالغين وبين آبائهم ، وتجعل من الصعب على هؤلاء الأبناء تحمل مسئولية آبائهم من الناحية المادية ، في الوقت الذي يبدو واضحاً أن كثيراً من الآباء لم يتمكنوا أو لم يخططوا لشيخوختهم في الوقت المناسب ، هذا إلى جانب أن الحكومة هي الهيئة الوحيدة في الوقت الحاضر التي لها سلطة الضغط وفرض الضرائب من أجل التأمين الاجباري للمسنين وهكذا .

ولكن من الممكن أن نحدد عدداً من العوامل يحتمل أن يكون لها تأثير فيما يلحق بالأسرة من تغيرات وهي :

١- العامل الجغرافي

من الواضح أن كل أسرة تعيش دائماً في مكان معين ، وطبيعة هذا المكان تؤثر بالضرورة على أنشطة الأسرة . وأي تغير في الظروف الجغرافية سوف يؤدي إلى تغيرات في الأسرة . فحدوث زلزال أو فيضان أو إعصار سيحدث تغيرات في اتجاهات وسلوك أعضاء الأسرة الذين يسكنون في هذه المناطق .

- وليس هناك شك في أن دورة حياة الإنسان تتأثر بالمناخ والمصادر الطبيعية ، وتوزيع الأرض والمياه ، والإنسان يتأثر بالدورات اليومية التي تحدث نتيجة دوران الأرض حول محورها ، وبالدورات السنوية الناتجة عن دوران الأرض حول الشمس ، والدورات الشهرية الناتجة عن دوران القمر حول الأرض . كل هذه التغيرات الجغرافية الدورية تؤثر بدون شك في الأنشطة التي تمارسها الأسرة خلال دورة الأعوام إلا أن الإنسان استطاع بالعلم أن يطوع البيئة وأن يستخدم مصادرها استخداماً إيجابياً لرفاهيته ، كما أنها لم تعد إلى حد كبير "حتمية" في تحديد مجالات نشاطه ، إلى جانب أنه ليس في إمكان العامل الجغرافي دائماً أن يفسر التغير ، فنفس البيئة يمكن أن تنشأ فيها حضارتان مختلفتان تماماً . مثال ذلك أن مناخ أوربا لم يتغير في القرون الخمسة الماضية ومع ذلك فقد تغيرت الأسرة فيها تغيراً ملحوظاً .

٢- العامل السكاني

الديموجرافيا هي الدراسة الاحصائية للسكان من حيث حجمهم وتوزيعهم وتركيبهم وهي تهتم بموضوعات معينة مثل التغيرات في الخصوبة ، وحجم الجماعات أو المجتمعات ومعدلات المواليد والوفيات سواء بالزيادة أو النقصان ، والهجرة داخل المجتمع الواحد ، والهجرة الخارجية واستحداث مناطق جديدة للعمران والسكن ، والعلاقات الاجتماعية ، ومستوى التكيف بالنسبة للمهاجرين قاطني المناطق السكنية الجديدة ، ونسبة الأطفال أو الشباب أو الشيوخ إلى سكان المجتمع ،وأثر ذلك في العمل والإنتاج والاقتصاد القومي . وعلى ذلك فإن أي تغير في حجم أو توزيع الناس يؤدي بالضورة إلى التغيرات الاجتماعية .

- وبتتبع التاريخ نجد أن نقص أو زيادة السكان كانت تؤدي إلى تحولات في أنماط حياة الأسرة . فالنمو السكاني السريع تتبعه مشاكل معينة مثل النقص في الطعام ، أو في فرض العمل أو المدارس أو الإسكان ومع ذلك فإن المصدر الديموجرافي على ماله من دور تغيرات الأسرة إلا أنه كافياً بمفرده لتفسير التغير .

٣- العامل البيولوجي

إن تقسيم الناس إلى جنسين ، ذكور وإناث ، ظاهرة دائمة ولا يمكن اعتبارها عاملا في تغير الأسرة لأن العامل الذي يتغير فقط هو الذي يسبب تغيرات أخرى . أما توزيع الجنسين فله دخل كبير في تغير الأسرة ، وقد تبين من عدد من البحوث أن معدل الزواج يرتفع كلما كان عدد الذكور أكثر من الإناث ، كما أن زيادة الذكور أو نقصهم في مجتمع ما يؤدي إلي التغيرات ملحوظة كارتفاع أو انخفاض معدلات الزواج ن وانتشار الدعارة ، والأطفال غير الشرعيين.

- ويعتبر سن النضج البيولوجي من العوامل المؤثرة في تغير الأسرة ، حيث نجد أن عدداً كبيراً من المجتمعات يكون فيها سن الزواج بالنسبة للأنثى هو سن البلوغ البيولوجي وأي تأثيرات تطرأ على هذا النضج تؤثر في سن الزواج . ومن الأشياء التي تؤثر في هذا النضج ، التحكم في الأمراض في الطفولة المبكرة والتغذية الجيدة.

- ومن أهم التغيرات الأسرية التي يظهر فيها تأثير العامل البيولوجي ، زيادة عدد الأسر التي يوجد بها أفراد مسنين ، وتوقع الزيادة في طول العمر ترجع إلى نفس العاملين الذين سبق ذكرهما والمسئولين عن النضج المبكر للإناث .

٤- العامل الأيدويولوجي

- <u>هناك عوامل أخرى تؤثر في الأسرة ذات طبيعة نفسية واجتماعية :</u>

- يطلق عليها أحياناً اسم " العوامل الأيدلوجية " أما دور الأيدولوجيا في تغير الأسرة فيظهر بوضوح في ارتفاع مستوى رعاية الأطفال في المجتمعات الحديثة ، حيث أصبحوا يحصلون على رعاية فائقة ، وخدمات كثيرة لم يتيسر لهم الحصول عليها من قبل ، ففي الماضي كان توجيه الأباء نحو تربية أطفالهم هو معاملتهم بحزم شديد ، وعدم تدليلهم أما اليوم فيحصل الأطفال على قدر كبير من الحنان والتدليل . ويمكن تفسير ارتفاع مستوى رعاية الأطفال في الوقت الحالي بنقص عددهم في الأسرة بسبب فعالية وسائل تنظيم الأسرة في بعض المجتمعات المزدحمة بالسكان واتجاه المرأة الحديثة إلى التقليل من الإنجاب ، وهذا إلى جانب التقدم العلمي الملحوظ في مجال رعاية الأطفال ، و تدريبهم في إبراز شخصياتهم و إعدادهم لحياة إجتماعية ذات طابع يختلف عن طابع الحياة الذي ساد المجتمعات التقليدية ، و إذا كان الأطفال يشكلون عبئا اقتصاديا في وقتنا الحالي فإن الاستخدام الممكن والاختياري لوسائل منع الحمل يعاون الزوجين على الاختيار بين الانجاب أو عدم الإنجاب ممكا يؤدي إلى أن الأطفال الذين سيولدون بمحض إرادة والديهم سيكونون موضع حبهم ورعايتهم .

- ويبدو أن التأكيد على ، وحدانية الزواج ، والنفور المتزايد من أي نمط آخر على مستوى الشرعية ، يمثل أيديولوجية ، في الوقت الحاضر ، تساندها ظواهر عديدة ، من بينها ظاهرة تساوي عدد الجنسين تقريبا في كل مجتمع . ولهذا فمن المحتمل ألا تستمر وحدانية الزواج كقاعدة إذا اختلفت معدلات الزيادة في عدد الرجال والنساء في أي اتجاه .

- وعموما ، فقد أصبحت الديمقراطية والحرية وإتاحة الفرص للتعبير عن الذات من المفاهيم الرئيسية في الأيديولوجية الحديثة . وأصبحت الأسرة تميل إلى أن تكون جماعة تربطها المحبة والعلاقات الشخصية الوثيقة

٥- العامل الاقتصادي :

- يعتبر العامل الاقتصادي من أكثر العوامل استخداما في نظريات التغير فطبيعة العمل ، ومصدر الدخل ، وإمكانية الحصول على السلع ، و المعايير الأساسية التي تحكم العلاقات الاقتصادية بين الناس ، أساسية بالنسبة لمعظم الأسر .

- ويرتبط التفسير الاقتصادي للتغير بكارل ماركس Karl Marxإلا أن نظرية ماركس عن المجتمع ينظر إليها على أنها واحدة من النظريات الحتمية لأنها حاولت أن تحلل التغير الاجتماعي عن طريق الربط بين الناس ووسائل الانتاج فالتغير هنا يمكن أن يحدث عندما ينشأ إحساس قوي بالتضامن ، بين العمال الذين يقعون فريسة استغلال أصحاب العمل ، الأمر الذي يؤدي بهم في النهاية إلى إنهاء الطبقة الرأسمالية ، كذلك فإن النهاية القصوى للصراع الطبقي لابد أن تكون في قيام مجتمع لا طبقي . ومع أن التاريخ الحديث يشهد على أخطاء ونقائض عديدة في التحليل الماركسي ، إلا أن بعض قضايا ماركس السوسيولوجية ينظر إليها على أنها صحيحة .

- وعلى سبيل المثل فإن من يشغلون مراكز متشابهة في النظام الاقتصادي يواجهون نفس المشاكل ويمرون من خلال تجارب مماثلة في الحياة الأمر الذي ينتج عنه أن تكون لديهم اتجاهات وقيم مشتركة ، مما يجعلهم يسلكون بنفس الأسلوب . ومع ذلك فإن كثيراً من تنبؤات ماركس عن المجتمع الرأسمالي لم تتحقق ، فلم تختفي الطبقة الوسطى ولم تتبلور أحاسيس الطبقة العاملة لم تتبلور الملكية في أيدي قلة يتناقص عددها باستمرار ، كما أن الثورات التي تنبأ بها لم تحدث حتى الأن في أكثر البلاد الصناعية تقدماً وهي البلاد التي كان من المتوقع نتيجة للأفكار الماركسية أن تواجه المتاعب .

- **٦- العامل التكنولوجي**

- لقد نشأت التكنولوجيا في الأصل لتقلل من المجهود المعضلي والجسماني الذي يبذله الإنسان في العمل ، ولتعمل على رفاهيته ، ورفع مستوى معيشته وإتاحة وقت فراغ أطول ، وبذلك نستطيع القول أن التكنولوجيا أساسا اجتماعية وأن العمل التكنولوجي يحدث استجابة لمتطلبات اجتماعية معينة ، وتأثير التكنولوجيا على الأسرة يكون في العادة بطريقة غير مباشرة ، وذلك من خلال التصنيع والحضرية ونمو المدن ، أما تأثيرات التكنولوجيا المباشرة على الأسرة فتظهر في صورة الأدوات المنزلية ووسائل الترفيه وكذلك الاكتشافات العلمية في مجال الطب و الدواء.

- - وقد كان للتقدم التكنولوجي تأثيرات متعددة على الأسرة من حيث بنائها ووظائفها ولذلك نجد أن حجم الأسرة في المجتمعات التي تأخذ بأسباب التكنولوجيا الحديثة يميل إلى النقصان باستمرار مع ما يصحبه من ظهور " الأسرة النواة " ولكن هذا لا يعني أن التكنولوجيا هي السبب في نشأة هذا النوع من الأسرة ، و إنما يعني أنه من أكثر الأشكال ملائمة للنظام التكنولوجي كما أن العلاقات بين أفراد الأسرة تقوم على الحرية و المساواة ، كما تغيرت القيم المتعلقة بالزواج واختياراته ، و تغيرت النظرة إلى الطلاق ، وقد تناقصت وظائف الأسرة أيضا بظهور التكنولوجيا الحديثة المتمثلة في التصنيع والحضرية ولم يبق للأسرة سوى وظائف قليلة أهمها وظيفة الإنجاب والتنشئة الاجتماعية .

- **خلاصة القول**

- خلاصة القول ، أن تغير الأسرة يتم نتيجة تداخل مجموعة معقدة من العوامل الداخلية و الخارجية والوسيطة ، ونظراً لأن الأسرة تعيش دائماً إطاراً ثقافيا تتفاعل معه تفاعلا متنوعا ، فإن التغير في أحد أجزاء هذا الإطار سوف يؤدي إلى تغيرات عديدة في الأسرة ، وما من شك أن العلم في العصر الحديث يعتبر من أكثر جوانب الثقافة دينامية ، وهو المسئول عند عديد من التغيرات أو مظاهر النمو والتقدم في ميدان التكنولوجيا ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن التكنولوجيا لا تغير الأسرة بطريقة مباشرة وإنما تغيرها من خلال عوامل وسيطة (أو غير مباشرة) تتمثل في نمو المدن وانتشار التصنيع وزيادة الخصائص الحضرية .

- - لكن هذا لا ينفي أن التكنولوجيا في بعض الأحيان قد تمارس تأثيراً مباشراً على تغير الأسرة كما في حالة تحديد النسل (وتنظيم الأسرة) التي تتصل اتصالا حيوياً بصميم وظائفها .

- وعموماً تستطيع القول بأن التغييرات التي تتعرض لها المجتمعات الحديثة وخاصة في مجال التصنيع والتكنولوجيا كان لها أثرها الفعال على الأسرة في نواح عديدة نستطيع الاستدلال عليها بتقديم نماذج من تلك التغيرات :

- ١- أتاحت التغيرات فرصاً عديدة لتمضية وقت فراغ تتمتع بما أتاحته من وسائل لم تكن متاحة من قبل مثل الراديو والتليفزيون وآلات التسجيل والأفلام السنيمائية ، ولهذه الأدوات بجانب دورها الترفيهي آثار أخرى على الأسرة فمثلاً مشاهدة الأسرة لبرامج التليفزيون انقصت إلى حد بعيد من الوقت الذي ينفق في أشياء أخرى مثل تبادل الحديث بين أفرادها ، أو الاقلال من الأنشطة الأخرى مثل القراءة أو أشغال الإبرة . وكان الراديو أيضاً أثره في تمضية وقت الفراغ بحيث يستطيع الفرد ألا يكون بمفرده بمجرد إدارة مؤشره . وأتاحت السيارة فرصة ملائمة الترفيه عن أفراد الأسرة لما نتجه لهم من إمكانيات القيام برحلات ونزهات . وكان الأدوات الرياضية التي لم تكن موجودة من قبل دور ملم أيضا في الترفيه مثل القوارب وأدوات الصيد ووسائل إلخ .....

- ٢- من أبرز التغيرات التي ظهرت آثارها على الأسرة استعمالها لوسائل ضبط النسل المختلفة ، وبالرغم من أن ممارسة تحديد حجم الأسرة معروف منذ القدم إلا أن الوسائل الحديثة قائمة على أسس علمية ونتائجها مضمونة تماماً ، ويبدو أن الدافع الأساسي لاستخدام هذه الوسائل يرجع إلى رغبة الأسرة في تحديد حجمها كقيمة للأعباء الاقتصادية الضخمة التي أصبحت تقع على عاتق الأسرة في المجتمع الحضري الصناعي المعاصر .

-

- **٣**- تغير آخر تتعرض له الأسرة حاليا وهو زيادة الاهتمام بوضع المسنين وذلك لزيادة المطردة في أعدادهم بالقياس إلى عدد السكان (وذلك نتيجة للرعاية الطبية المتزايدة التي توليها المجتمعات المتقدمة لأفرادها منذ الطفولة المبكرة مما ساعدها على إطالة عمر الفرد) إلا أن كبر الأب في السن مثلاً بمعنى الإحالة إلى المعاش وما في ذلك من فقدان للمكانة والقوة ، ومن ناحية أخرى النقص الواضح في الدخل وبالتالي انخفاض مستوى المعيشة ، وغالباً ما تحدث تغيرات معينة في نوع المعاملة التي يلقاها أفراد الأسرة المسنين ،

- من حيث عدم الاستماع إلى نصائحهم ، كما يستعان بالجدة كجليسة مفضلة للأطفال وعموما فإن التغيرات الاقتصادية وما ×××× من نظام معين في الأجور وطريقة معينة في السكن جعلت المساكن لا تتسع إلا للزوجين وأطفالهما وأصبحت إقامة المسنين مع الأسرة عبئاً ثقيلاً لا تستطيع تحمله . بالإضافة إلى أن الأسرة المعاصرة كثيرة التنقل ، وبهذا يحتاج إلى الخبرة في الحركة وقلة عدد الأفراد ، وهنا يصبح المسنون عائقاً عن الحركة .

- - إلا أن وضع المسنين يختلف باختلاف الطبقة التي ينتمون إليها فالمسنين في الطبقات العليا يكونون آمنين نسبياً من الناحية المادية ، ولا تعني إحالتهم إلى المعاش فقدان مكانتهم في أسرهم ، كما أن مراكزهم المالية واسم عائلاتهم يبقى كأساس متين لمكانتهم في الأسرة ، فهم رمز العائلة . أما المسنون في الطبقات الأخرى فتختلف أوضاعها تبعاً لظروفهم المادية ويكونون عرضة للتوتر نتيجة لفقد المهنة أو الوظيفة وفقد المركز الاجتماعي ، وعدم الفعالية ، وقطع كثير من روابطهم العائلية .

- ٤- حدثت تغيرات هامة في مكانة الشباب في المجتمع ، ففي الماضي كان الشباب يلتحقون بالعمل في سن مبكرة ، بينما الظروف الحالية للعمل تتطلب تخصصاً دقيقاً في الدراسة وهذا يستغرق زمناً طويلاً يستتبع اعتماد الشباب على والديهم للإنفاق عليهم حتى يتمكنوا من إتمام دراستهم .

- - وبالرغم من هذا فإن أوضاع الشباب في المجتمع تختلف بإختلاف الطبقة التي ينتمون إليها ففى طبقة العمال يميل الشباب إلى ترك الدراسة والالتحاق بالعمل وذلك نتيجة لفقر أسرهم ، فالظروف هي التي تجبرهم على عدم استكمال تعليمهم . أما الطبقات العليا فإن ثقافتها تؤكد على ضرورة التحاق الشباب فيها بالتعلم بدرجاته المختلفة كما يمكن لهؤلاء الشباب في الطبقات المتوسطة فلهم رغبة في التعليم الجامعي أكثر من أي طبقة أخرى . ويرتبط هذا برغبة أفراد الطبقة المتوسطة في النجاح والوصول إلى المراكز العليا في المجتمع .

-

- ٥- من التغيرات الواضحة أيضاً نقص الإنتاج المنزلي بشكل واضح ، وذلك لازدهار الانتاج الصناعي ، ولا ينتظر عودة الإنتاج إلى المنزل لأنه لا يستطيع منافسة المنتجات الجاهزة من حيث الجودة والإتقان ، ونظراً لأن معظم الأشياء أصبحت تصنع خارج المنزل فقد تناقص صنع الطعام بالمنزل إلى حد كبير وخاصة في الدول المتقدمة ، حيث أصبح أفراد الأسرة يدبرون احتياجاتهم من الخارج وخاصة المرأة ، ومن المنتظر أن تتناقص عملية إعداد الطعام في المنزل مستقبلاً ، وذلك لكثرة وجود المنتجات الحديثة من الأطعمة المجمدة والمكثفة والمطبوخة بالإضافة إلى أن المعدات الحديثة مثل حلة البخار ،والتبريد الآلي والموقد الإلكتروني وكلها تبسط إلى حد كبير عملية إعداد الطعام ، وتزيل عبئاً ثقيلاً من على عاتق ربة البيت .

- من عرض هذه النماذج عن التغيرات التي تعرض وتتعرض لها الأسرة المعاصرة يتبين لنا أن التغيرات الإجتماعية السريعة التي صاحبت التصنيع فرضت على نسق الأسرة التكيف السريع "خارجياً" مع متطلبات النظم الإجتماعية الأخرى و"داخلياً" مع إحتياجات أفراد الأسرة ، ونعني بذلك ، أن الأسرة ليست هي السبب أو المحرك الآول في عملية التغير الاجتماعي . إلا أن هذا لا يعني أنها تكون سلبية في علاقاتها بالنظم الأخرى ولكن يمكن القول أن الأسرة تستجيب بدرجة عالية للتغير الاجتماعي ، وذلك بتكييف بنائها وأنشطتها لتتلاءم مع المطالب المتغيرة للمجتمع وللنظم الاجتماعية الأخرى .

- وهكذا يتضح أنه يمكن دراسة حجم الأسرة أو دراسة نوع علاقاتها أو مستواها الاقتصادي أو مشاكلها كل على حده كمدخل لقياس التغير فيها لأن دراسة موضوع مثل التغير يقتضي الربط بين هذه الأجزاء جميعاً ، فالأسرة كل لا ينقسم ، ويؤثر كل جزء فيها على الآخر مثل المجتمع الكبير تماماً ، ومثال ذلك . أن دراسة العوامل التي تؤثر في حجم الأسرة سواء بالزيادة أو النقصان تقتضي أن تنظر إلى العوامل المحيطة كنسق القيم ، فهناك مثلاً مجتمعات يؤكد نسقها القيمي على ضرورة كثرة الإنجاب ، ومجتمعات أخرى يؤكد نسقها القيمي على الإقلال من الإنجاب ، وكذلك الاتجاهات العامة للناس ، والطبقة التي تنتمي إليها الأسرة ، ونوعية التعليم والترفيه ، وما إلى ذلك من العوامل التي تكون ذات أثر فعال في وضع الأسرة المتكامل مع بقية عناصرها الأخرى . وتجدر الإشارة هنا إلى أن دراسات الأسرة قد مرت تقريباً بنفس المراحل التي مرت بها نظريات التغير الاجتماعي . فالأسرة هي المرآة التي تعكس صورة التغير الاجتماعي على المجتمع وذلك عندما تتبنى مجموعة من الأسر شيئاً حديثاً (تكنولوجيا أو أيديولوجيا) فإنه بمجرد ظهور فائدة هذا الشيء تتبناه بالتدريج الأسر الأخرى حتى يشمل المجتمع بأسره . وقد يلاقي هذا الجديد معارضة من بعض الأسر في حالة مخالفته للقيم التقليدية أو إضراره ببعض المصالح الخاصة إلا أنه بمرور الوقت يثبت العنصر الجديد أقدامه ويقضى على القديم .

- **نظرة إلى المستقبل**

- هناك قبول عام بين الدارسين في العلوم الاجتماعية في هذه الأيام أن الأسرة نظام اجتماعي ضروري لا يمكن أن يتصور وجود مجتمع بدونه ، بمعنى أن الأسرة نظام عالمي ثبت تاريخياً وسوف يبقى كذلك على أي مستوى من المستويات .

- - وإذن يصبح مستقبل الأسرة مسألة هامة وحيوية تثير كثيراً من التساؤلات ، فمثلا كيف ستكون أسرة المستقبل ؟ أو ما هو مستقبل الأسرة ؟ وأي الأنماط من الأسرة والمجتمعات سوف توجد في العشر أو الخمسين أو المائة سنة القادمة ؟

- - وماذا نعد لها من الآن ؟ وأي نمط من التدريب يتعين علينا أن نقدمه لأطفالنا وأحفادنا ؟ وهل سيظل بناء الأسرة كما هو أم سيتغير ؟ وأي الوظائف سوف يؤديها هذا البناء ؟ وهل سيكون وجود الأسرة أصلاً ضرورياً ؟ وهل سيستمر وهل سيكون للنساء مكانة مساوية للرجال بالفعل أم سيتفوقن عليهم ؟ وهل ستنظم الدولة أنشطة الأسرة ؟ هذا نموذج من الأسئلة التي يمكن طرحها في هذا المجال ؟

- - ومحاولة البحث عن إجابة معقولة ومقبولة لها . إلا أن الإجابات على أسئلة تتعلق بالمستقبل وخاصة في المسائل المتصلة بالمجتمع تعتبر مسألة شائكة إلى حد بعيد وتحتاج إلى أساس أو نظرية يمكن أن تركز عليها لتقدير الاحتمالات المستقبلية .

- ومحاولة التنبؤ بمستقبل الأسرة كنوع من الرؤية المستقبلية أو كشف الغيب ليست موضوعاً جديداً ، حيث توجد كثير من المحاولات السابقة في هذا الميدان فمثلاً يرى كثير من المفكرين أن الأسرة في طريقها إلى الإنهيار أو

الزوال وقد أشرت من قبل إلى أن راسل من بينهم حين يؤكد أن الأسرة أصبت نظاماً عتيقاً وأن الفساد قد دب في أوصالها ، وعلى الرغم من أن هذا الفساد نتج بصورة واضحة عن الثورة الصناعية ، إلا أنه يري أن هذا الفساد قد بدأ منذ زمن سابق على هذا الحدث ولهذا تضاءل مركز الإسرة في العصر الحديث وفقدت قوتها السابقة القائمة على تأييد الدولة .

- ويضيف مور كما ذكرنا إلي أن الأسرة المعاصرة عتيقة بالفعل وبربرية ، وأحد مظاهر هذه "البربرية " هو التزام الأسرة بمنح الحب لمجموعة معينة من الأشخاص هم أبناؤها ، وأن شعور المحبة الحقيقي في رأيه هو الذي يمنح لأفراد نختارهم بمحضر إرادتنا وليس لأفراد قد نمقتهم أو نكرههم .

- **تدبيرات وقائية لإحتمالات المستقبل**

- يرى الكثيرون من منظور تشاؤمي أن مستقبل المجتمع والأسرة يبدو مظلماً وكئيباً نتيجة للأحداث الجارية في الوقت الحالي ، ويضربون أمثلة عديدة لتلك الأحداث التي تدفعهم إلى مثل التنبؤات المتشائمة . كتعاطي المخدرات ، والإنهيار الإقتصادي ، والبطالة المقنعة ، واضمحلال موارد البيئة الطبيعية ، وازدياد الصراعات الطائفية ، ونشوب الحروب ، وكثرة مشاكل الطلاب ، واتساع الفواصل بين أجيال الآباء والأبناء ، وإرتفاع معدلات الطلاق ، وانتشار الأمراض النفسية وإرتفاع معدلات الانتحار ويرى هؤلاء أن استمرار هذه المشاكل بل وتعاقبها وظهور مشاكل جديدة سوف يؤدي بالضرورة إلى إنهيار حياة الأسرة . ويرون كذلك أن الأسرة هي المسئول الأول عن جميع الأمراض والمشاكل الإجتماعية لأن لها التأثير الرئيسي والمباشر في تجربة الحياة لكل شخص .

- - إلا أن هناك إعتراضات كثيرة على هذا الرأي ، فوصفنا لجميع المشاكل الاجتماعية باعتبارها نتيجة لفشل الأسرة يعتبر غير حقيقي بل وساذج أيضا .

- <u>باعتبارها نتيجة لفشل الأسرة يعتبر غير حقيقي بل وساذج أيضاً. وهناك نقاط عديدة، تحتاج إلى إيضاح نشير إليها فيما يلي:</u>

- <u>أولاً</u> : أن التغيرات التي تحدث أو سوف تحدث في الأسرة ليست بالضرورة سارة أو محزنة، حسنة أو سيئة، بناءة أو هدامة، حيث أن تغيرات الأسرة قد تكون مستحبة أو مرفوضة تبعاً للإطار المرجعي أو تصور كل شخص، وكذلك للسماعة التي ينتمي إليها، واتجاهات للقيم التي يستبقها. فإرتفاع معدلات الطلاق مثلاً يمكن أن ينظر إليها من وجهة نظر معينة كمشكلة ××× بينما قد ينظر إليها آخرون على أنها حل لمشاكل أخرى.
والحرب أيضاً يمكن إعتبارها أمراً حيوياً للدفاع القومي، أو كعملية هدم غير أخلاقية للأرواح والأملاك وهذا يعني أنه لا توجد تغيرات تهدم وتمزق النظام الاجتماعي، ولكن هذا يعني أن المشاكل الاجتماعية، من الملائم أن ننظر إليها في المحيط الذي تحدث فيه . فالمسألة إذن نسبية، تختلف باختلاف الأشخاص والمجتمعات والزمان والمكان والظروف .

- <u>ثانياً</u> : يرى الكثيرون أن مكان الأسرة يقع في قلب المجتمع، وأنها أكثر النظم الاجتماعية أهمية، إلا أنه يجب أن نضع في الاعتبار أنه لا يمكن فهم الأسرة كظاهرة منعزلة، بل يجب النظر إليها في صورة تكاملية مع بقية النظم، أي في علاقاتها بالإقتصاد والتعليم، والدين والسياسة بالإضافة إلى عوامل أخرى مثل كثافة السكان وتركيبهم وتوزيعهم، وأنماط التنفل الاجتماعي والمكاني والتقسيم الطبقي في المجتمع ، كل هذا يجب أن يكون واضحاً . فليس من قبيل المصادقة كما سبق أن أشرنا أن تميل المجتمعات الزراعية إلى شكل الأسرة الممتدة وإلقاء مسؤولية الاختيار الزواجي على الآباء . ولكن النقطة الرئيسية التي نرد الإشارة إليها ، هي أنه إذا أردنا الحصول على تنبؤات عن الأسرة دقيقة ومضبوطة، فمن الضروري أن يكون لدينا فهم دقيق وكامل لما يحدث في الأنساق الاجتماعية الأخرى القائمة في المجتمع ومثال ذلك : إذا ارتفع المستوى التعليمي في مجتمع ما ينقص عدد الأطفال في الأسرة. وفي هذا تأكيد على أن ما يحدث في الأسرة يعتمد إلى حد كبير أو يرتبط بما يحدث في الأجزاء الأخرى من المجتمع وأي تغير يحدث في أحد هذه الأجزاء يؤدي إلى تغيرات أخرى مصاحبة بما في ذلك الأسرة.

- ثالثاً : الأسرة ليست وجوداً متماثلاً. حيث توجد اختلافات كثيرة في أنماط الأسرة (حتى في المجتمع الواحد) نتيجة لعوامل عديدة مثل الإقامة الريفية أو الحضرية ، والعقيدة الدينية، والطبقة الاجتماعية، والسن،

والاهتمامات الخاصة، ودرجة الثقافة . وكل مجموعة من الأشخاص يتشابهون في مجموعة من هذه العوامل يشكلون قطاعاً في المجتمع له طابعه الخاص.

- رابعاً : إن أي نمط من التنبؤ أو الاحتمالات المستقبل الاجتماعية تتوقف إلى حد كبير على الصدفة، أي أنها قد تصدق أو لا تصدق. فبعض الاتجاهات تكون قصيرة المدى short-term إذا ارتبطت بالمناخ الاقتصادي للرخاء الذي يؤثر بصورة واضحة في معدلات الزواج والمواليد والطلاق. كما أن بعض الاتجاهات الأخرى قد لا تكون بالضرورة وحيدة الاتجاه linear أو قد لا يكون لها اتجاه واضح على الاطلاق . ويمكن أيضاً أن تكون إمكانيات التنبؤ عالية أو منخفضة . والمتغيرات يمكن أن تحدث داخل النسق أو خارجه، بمحض الصدفة أو مخططة ، سلوكية أو موقفية، مادية أو لا مادية، حقيقة أو مثالية، نمطية أو غير نمطية ، سلامية أو عدوانية، مستمرة أو وقتية، سريعة أو بطيئة، نتيجة لأسباب وحيدة أو أسباب عديدة وهكذا .

- ومما سبق يتبين لنا أن : -

- أي تنبؤات مستقبلية يجب أن تتخذ من الحذر منهجاً تقوم بكل ما يستطيع أن يقوم به الرجل بما في ذلك من الأعمال الثقيلة ومن المحتمل أن يؤكد المستقبل على عدم الفصل في الأنشطة بين الزوجين بحيث يمكن أن يؤدي العمل عن طريق أحد الزوجين دون النظر إلى طبيعة العمل. وهناك مؤشر واضح يؤيد هذا الاتجاه مستقبلاً ، وهو أن الأزواج في الطبقات المتوسطة أصبحوا بالفعل يوافقون باقتناع ورضى على القيام بكثير من أعمال المنزل التي كانت تقليديا من نصيب المرأة.

- ومن المحتمل أيضاً أن يشاهد زيادة في تقسيم العمل الذي يقوم على مدى العلاقات الداخلية بين الزوجين أكثر من قيامه على المعايير الإجتماعية والثقافية والتقليدية .

- ومن المحتمل أيضاً في المستقبل زيادة في الكليات والمدارس العليا التي تركز على الإعداد للزواج والأسرة، وقيام هيئات تتخصص في إنشاء دور للحضانة على أسس تربوية ونفسية سليمة ومكاتب الاستشارات الزواجية، وعيادات متخصصة للإرشاد في رعاية الأطفال، ومراكز متخصصة في خدمة الأسرة وحل المشاكل العائلية.

- **مكانة النساء**

- يبدو أن معظم المجتمعات تسير في الوقت الحالي نحو المساواة بين مكانة الذكر والأنثى. فالمساواة في التعليم أباحت للنساء فرصاً للالتحاق بالأعمال والمهن المختلفة. كما أن انهيار التفرقة المتعلقة بالجنس في تقسيم أدوار العمل وإتاحة الفرص للاتصال الاجتماعي قبل الزواج وبعده تعتبر علامات واضحة وأكيدة على السير في طريق المساواة الكاملة بين الرجال والنساء. ويبدو أنه من المنطقي أن نفترض أن التغيرات الهائلة التي من المحتمل أن تصاحب للتغيير في أدوار الإناث سوف يكون لها أثرها على الرجال أيضاً . فالنساء تقليدياً يقمن بأعمال لا تواجه منافسة من الرجال أيضاً مثل التعليم والتمريض وأعمال السكرتارية وما شبه ذلك . إلا إنهن يستبعدن من معهن أخرى مثل البحث والسياسة، والحرف ، والإدارة .. إلخ

- ويرى ناي Nye أنه إذا اتيحت للنساء الفرص المناسبة للتدريب في مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية والمجالات الأخرى القاصرة على الرجال فإنه من المحتمل أن يؤدي للتغير إلى ما يلي :

- أ- ستصبح المرأة في عدد متزايد من الأسر هي " عائل الأسرة" وقد يتولى الزوج نتيجة لذلك القيام بالأعمال المنزلية ويتحمل مسؤولية أدوار تتناقض مع دوره التقليدي .

- ب- يحتمل أن تتزايد معدلات الطلاق نتيجة لما يتطلبه عمل المرأة من وقت، وما يقتضيه من تنقلات وأسفار في بعض الأحيان، ويضاف هذا كله إلى أن استقلالها اقتصادياً يجعلها لا تعتمد على الرجل أو تقبل منه توجيهات في غير محلها.

- جـ- يتوقع أن تتزايد رعاية دور الحضانة للأطفال نتيجة للنقص المستمر في الخدم .

- *د- يحتمل أن يستمر معدل المواليد في الانخفاض كبديل لتربية الأطفال .*

- *هـ- - يمكن أن يزيد من الزواج بالنسبة*

وإذا افترضنا أن المرأة أحرزت تقدماً في الوقت الراهن من حيث الحصول على المساواة بالرجال في حالات عديدة كالعمل والتنظيم والدخل. فإن هذه المساواة تعتبر غير حقيقية في واقع الأمر، لأنه على الرغم من كل شيء لما زالت المرأة أقل من الرجال ، حيث تواجه في كثير من المجتمعات بتيارات قوية تثير المشاكل أمامها وخاصة ما اتصل منها بطبيعة مركزها ، وتقف معوقاً أمام تقدمها، وتتخذ هذه المشاكل أشكالاً مختلفة باختلاف هذه المجتمعات، ففي بعض المجتمعات يلاحظ أن التعصب ضد المرأة ينعكس على النظم القانونية والسياسية والمهنية ، وفي مجتمعات أخرى لا يكون التعصب ظاهراً بصورة واضحة.

ماذا عن المستقبل إذاً؟ إذا ربطنا المهنة والدخل بالتحصيل في العلم، فإنه يبدو أن المرأة ستظل في وضع أدنى من الرجل لأجيال أخرى قادمة، وربما تتشابه حصول المرأة على المحاورة الاجتماعية مع ما يحدث لجماعات الأقليات في بعض المجتمعات التي تسود فيها التفرقة العنصرية . وذلك أنه على الرغم من أن النساء حصلن حالياً على درجة من المساواة في الحقوق المدنية وعلى بعض الحقوق المدنية وعلى بعض الحقوق السياسية إلا أن هذه المساواة لا تسير حثيثاً في الطريق المأمول وهي المساواة الكاملة.

أسئلة المحاضرة الحادية عشر

((من الممكن أن نحدد عدداً من العوامل التي يحتمل أن يكون لها تأثير فيما يلحق بالأسرة من تغيرات))

اذكرى / اذكر هذه العوامل مع شرح واحدة منها.

إن الأسرة لا يمكن فهمها كظاهرة منعزلة . بل لابد من النظر إليها في ضوء النظم الاقتصادية والسياسية والدينية والأوضاع السكانية في المجتمع ، الذي تكون جزءا منه ، ويتأثر ويؤثر في نفس الوقت.

والرغم من أن الاختراعات والاكتشافات العلمية لها أهمية كبيرة في عملية تغير الأسرة إلا أنها ليست العامل الوحيد في هذا التغير. فكل تغير يحدث في الأسرة يكون نتيجة لعدة عوامل كما أن التغير الذي يحدث في أحد أجزاء الأسرة يؤثر في بقية أجزائها .

ويمكننا أن نحدد عدداً من العوامل التي يحتمل أن يكون لها تأثير فيما يلحق بالأسرة من تغيرات وهى كالتالي :

١.العامل الجغرافي

٢. العامل السكاني

٣. العامل البيولوجي

٤. العمل الأيديولوجي

٥. العامل الاقتصادي

٦.العامل التكنولوجي

وسوف نتناول بالشرح

العامل البيولوجي

إن تقسيم الناس إلى جنسين ، ذكور وإناث ، ظاهرة دائمة ولا يمكن اعتبارها عاملا في تغير الأسرة لأن العامل الذي يتغير فقط هو الذي يسبب تغيرات أخرى . أما توزيع الجنسين فله دخل كبير في تغير الأسرة ، وقد تبين من عدد من البحوث أن معدل الزواج يرتفع كلما كان عدد الذكور أكثر من الإناث ، كما أن زيادة الذكور أو نقصهم في مجتمع ما يؤدي إلي تغيرات ملحوظة كارتفاع أو انخفاض معدلات الزواج وانتشار الدعارة ، والأطفال غير الشرعيين .

- ويعتبر سن النضج البيولوجي من العوامل المؤثرة في تغير الأسرة ، حيث نجد أن عدداً كبيراً من المجتمعات يكون فيها سن الزواج بالنسبة للأنثى هو سن البلوغ البيولوجي وأي تأثيرات تطرأ على هذا النضج تؤثر في سن الزواج . ومن الأشياء التي تؤثر في هذا النضج ، التحكم في الأمراض في الطفولة المبكرة والتغذية الجيدة .

- ومن أهم التغيرات الأسرية التي يظهر فيها تأثير العامل البيولوجي ، زيادة عدد الأسر التي يوجد بها أفراد مسنين ، وتوقع الزيادة في طول العمر ترجع إلى نفس العاملين الذين سبق ذكرهما والمسئولين عن النضج المبكر للإناث .

٢- ((يرى ناي Nyeأنه إذا اتيحت للنساء الفرص المناسبة للتدريب في مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية والمجالات الأخرى القاصرة على الرجال فإنه من المحتمل أن يؤدي هذا التغير الى تغير بعض الادوار في الاسرة))

اشرح / اشرحى العبارة السابقة.

يرى ناي Nyeأنه إذا اتيحت للنساء الفرص المناسبة للتدريب في مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية والمجالات الأخرى القاصرة على الرجال فإنه من المحتمل أن يؤدي للتغير إلى ما يلي :

أ- ستصبح المرأة في عدد متزايد من الأسر هي " عائل الأسرة" وقد يتولى الزوج نتيجة لذلك القيام بالأعمال المنزلية ويتحمل مسؤولية أدوار تتناقض مع دوره التقليدي .

ب- يحتمل أن تتزايد معدلات الطلاق نتيجة لما يتطلبه عمل المرأة من وقت، وما يقتضيه من تنقلات وأسفار في بعض الأحيان، ويضاف هذا كله إلى أن استقلالها اقتصادياً يجعلها لا تعتمد على الرجل أو تقبل منه توجيهات في غير محلها.

جـ- يتوقع أن تتزايد رعاية دور الحضانة للأطفال نتيجة للنقص المستمر في الخدم .

د- يحتمل أن يستمر معدل المواليد في الانخفاض.

هـ - يمكن أن يزيد الزواج بالنسبة للفتيات.

ولكن ما زالت المرأة أقل من الرجال ، حيث تواجه في كثير من المجتمعات بتيارات قوية تثير المشاكل أمامها وخاصة ما اتصل منها بطبيعة مركزها ، وتقف معوقاً أمام تقدمها، وتتخذ هذه المشاكل أشكالاً مختلفة باختلاف هذه المجتمعات، ففي بعض المجتمعات يلاحظ أن التعصب ضد المرأة ينعكس على النظم القانونية والسياسية والمهنية ، وفي مجتمعات أخرى لا يكون التعصب ظاهراً بصورة واضحة.

موفقين إن شاء الله لا تنسوني في دعائكم ، مها٨٨